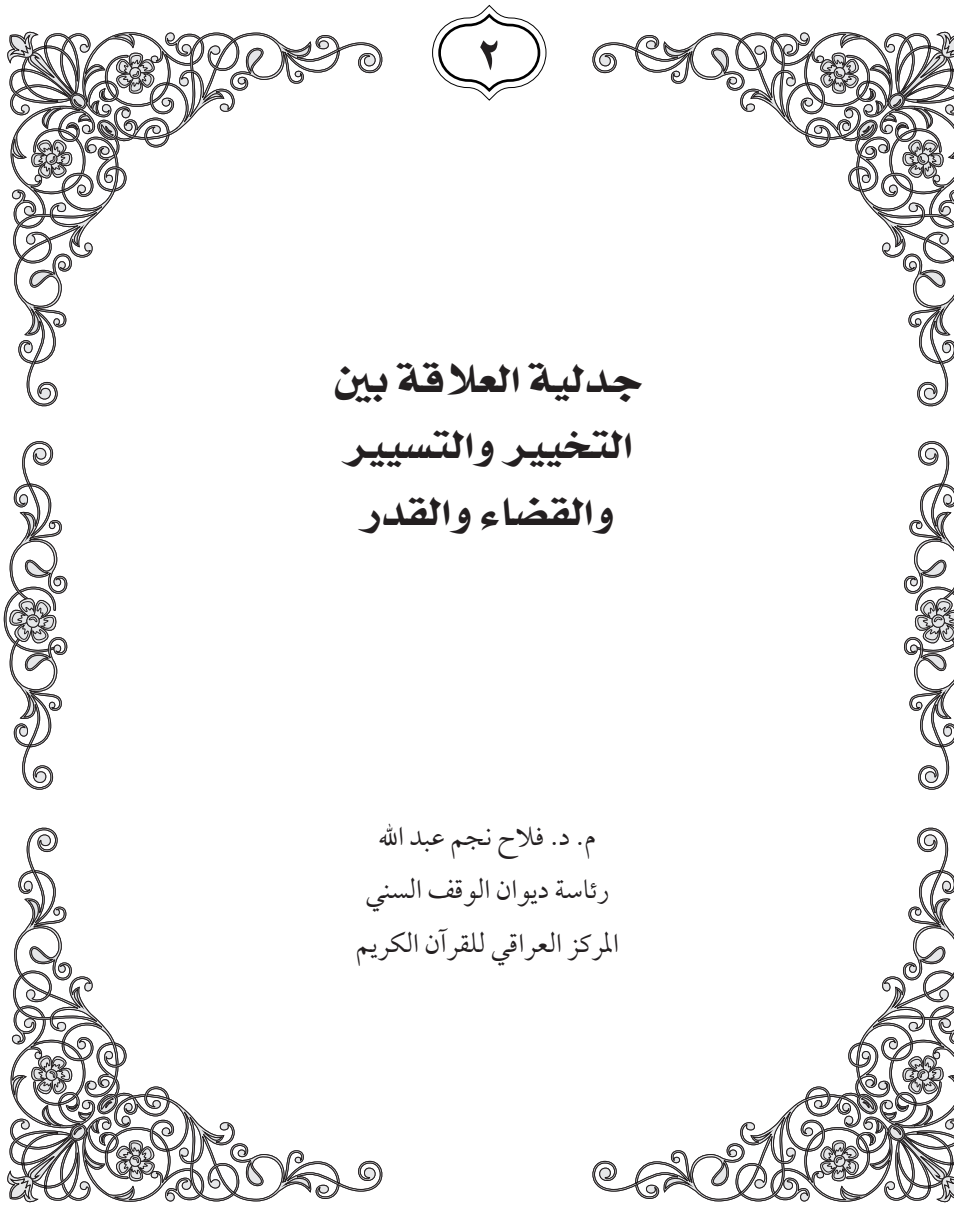

٢

جدلية العلاقة بين التخيير والتسيير والقضاء والقدر

م. د. فلاح نجم عبد الله
رئاسة ديوان الوقف السني
المركز العراقي للقرآن الكريم

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي-الجامعة العراقية
كلية التربية للبنات

Abstract

Praise be to Allah، the Lord of the Worlds، and the best prayer، and the handover is done to our master Muhammad the faithful، and to his good family and his good companions.

the question of choice and management in man and the question that comes to mind whether human path or choice has occupied a large space in the research and writings of the elderly as well as modernists; because it is a thorny issue in the doctrine and evidence are many and conflicting; and this is why I was invited to write in this subject to Ali Akon of Near the flat dispute and clarify things، and chose to clarify the relationship between choice and management and its relationship to fate and fate was my research entitled **(**controversy between the relationship between choice and governance and fate and destiny.)

the research consists of two topics and three questions، and I spoke about the subject of the research، with an introduction and a conclusion that included the most important findings.

After this effort، I hope that I have succeeded in this research before starting to talk about the relationship of governance and choice of the doctrine of God and fate must accurately show the meaning of both the judiciary and fate، so as not to confusion in the meaning of the core، and most of those who understood both of them are void، they are obsessed with their lack of truth**.** We must first know the law of God and then show how closely one relates to the other.

What was right، God›s success and care and what was not so Fastgfr God Almighty and repent to him and our last prayer that praise to God، the Lord of the Worlds.

It was systematic in writing the research as follows:

1.the Koranic verses were placed under the appropriate requirement that I mentioned in the Holy Quran and attributed to the wall in which the verse number is mentioned.

2.I mentioned from the ahaadeeth about the subject of the research and I graduated and attributed it to its sources of Hadith books where I mentioned the name of the book، the door، the part number، the page and the number of the Hadith.

3.I mentioned the meanings of the vocabulary that I mentioned in the research books of dictionaries، language، interpretation، Hadith and other books.

4.I have reviewed the information you mentioned in the research to their original sources.

And this concludes the research and ask God Almighty that I have fulfilled what I wrote and benefit me with what I learned and to make my work sincere to his face، and thank God the Lord of the Worlds and prayers and peace on the Seal of the Apostles and Prophets Muhammad **(**peace be upon him**)** and his family and his companions

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وافضل الصلاة واتم التسليم على سيدنا محمد الامين وعلى آله الطيبين وصحبه الطاهرين وبعد :-

فإن مسألة التخيير والتسيير عند الانسان والسؤال الذي يتقافز الى الذهن هل الانسان مسير أو مخير قد شغل حيزاً كبيراً في بحوث وكتابات الأقدمين فضلاً عن المحدثين ؛ لأنها من المسائل الشائكة في العقيدة والأدلة فيها كثيرة ومتعارضة ؛ وهذا السبب دعاني لأن اكتب في هذا الموضوع لعلي اكون ممن قرب شقة الخلاف ووضح الأمور ، واخترت ان اوضح العلاقة بين التخيير والتسيير وعلاقتها بالقضاء والقدر فكان بحثي بعنوان (**جدلية العلاقة بين التخيير والتسيير والقضاء والقدر**).

تكون البحث من مبحثين وثلاثة مطالب وتكلمت فيها عن موضوع البحث ، مع مقدمة وخاتمة تضمنت اهم النتائج التي توصلت اليها .

وبعد فهذا جهد المقل وارجو أن اكون قد وفقت في بحثي هذاقبل البدء بالكلام عن علاقة التسيير والتخيير بعقيدة القضاء والقدر يجب أن نبين بدقة معنى كل من القضاء والقدر، حتى لا يحصل اللبس في المعنى الجوهري لهما، وما أكثر الذين فهموا كلاً منهما فهماً باطلاً، بل مُنَكَّسَاً على غير حقيقتهما. فلا بد أولاً أن نعرّف القضاء والقدر ثم نبين بعد ذلك مدى صلة أحدهما بالآخر .

فما كان فيه من صواب فبتوفيق الله ورعايته وما كان غير ذلك فاستغفر الله العظيم واتوب اليه وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

وكان منهجي في كتابة البحث كالتالي :

١. وضعت الآيات القرآنية تحت المطلب المناسب التي ذكرتها فيه من القرآن الكريم ونسبتها الى السور التي فيها وذكرت رقم الآية .

٢. وذكرت من الأحاديث ما يتعلق بموضوع البحث وقمت بتخريجها وعزوها الى مصادرها من كتب الحديث حيث ذكرت اسم الكتاب والباب ورقم الجزء والصفحة ورقم الحديث .

٣. ذكرت معاني المفردات التي اوردتها في البحث من كتب المعاجم واللغة والتفسير والحديث وغيرها من الكتب .

٤. راجعت المعلومات التي ذكرتها في البحث الى مصادرها الأصلية.

وبهذا ختمت البحث واسأل الله تعالى ان اكون قد وفقت بما كتبت وان ينفعني بما تعلمت وان يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم , والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الرسل والأنبياء محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين

المبحث الاول: القضاء والقدر في نظرية الشريعة الاسلامية

المطلب الأول : تعريف القضاء والقدر

أولا ـ القضاء في اللغة :

قال الزُّهري : القَضاء في اللُّغة على وجوه مَرْجعها إلى انقطاع الشيء وتَمامه . وكلُّ ما أُحكِم عَملُه أو أتمّ أو خُتِم أو أُدِّي أو أُوجِبَ أو أُعْلِم أو أُنفِذَ أو أُمْضِيَ فقد قُضِي.[1] فالقضاء في اللغة يطلق على معان عدة منها: الحُكْمُ. يُقالُ: قَضى القاضي على فلان بمعنى حكم عليه, وقد يكون بمعنى الأَدَاء والإنْهاء تقول قَضَى دَيْنَه ومنه قوله تعالى [**وقَضَيْنَا إليه ذلك الأَمْرَ**][2] أي أنْهَيْنَاهُ إليه وأبْلَغْنَاه ذلك.[3] .

ويطلق على عملِ القاضي. وعلى الإحكام والإتقان وإتمام الأمر. ورجالُ القضاء: الهيئةُ التي يُوكَلُ إليها بحثُ الخصومات للفصل فيها طبقًا للقوانين. ويقال: وَقَعَ هذا الحادثُ قضاءً وقَدَرًا: لم يُنسَبْ إلى فاعل أَحْدَثَه. قال ابن فارس: «القاف والضاد والحرف المعتلّ أصلٌ صحيح يدلّ على إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه لجهته»[4]

فعقيدةُ القضاءِ والقَدَر: عقيدةُ من يرى أَن الأعمالَ الإنسانيةَ وما يترتب عليها من سعادة أو شقاء، وكذلك الأحداث الكونية، تسير وَفْقَ نظام أزليّ ثابت[5].

ثانياً ـ القدر في اللغة :

القَدَر: بفتح القاف والدال: اسم يطلق على الحكم والقضاء، أو القضاء الموفق[6]

والقدر بتسكين الدال هو : الفعل وهو : التقدير ، والقدر بتحريك الدال هو : المقدور[7] .

ويطلق أيضا على مِقدار الشَّيءِ وحالاته المقدَّرة له. ووقتُ الشيء أو مكانه المقدَّر له. والقضاءُ الذي يقضي به الله على عباده.[8]

قال ابن فارس: (القاف والدال والراء، أصلٌ صحيح يدلّ على مبلغ الشيء كنهَه ونهايته)[9].

ويأتي بمعنى: الطاقة والتضييق وغير ذلك[10].

---

(١) النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري, تحقيق : طاهر أحمد الزاوي محمود محمد الطناحي, طبعة: مؤسسة اسماعيليان قم ط/٤, ١٣٦٤ش: ٤/ ٧٨.

(٢) سورة الحجر : ٦٦ .

(٣) ينظر الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري, ت ٣٩٣هـ , تحقيق: احمد بن عبد الغفور عطار, طبعة دار العلم للملايين ١٤٠٧هـ , :٦/ ٢٤٦٣-٢٤٦٤.

(٤)ينظر مُعْجَم مَقَاييس اللُّغَة ، لأبي الْحَسَن أَحْمَد بن فارس بن زكريا ، (ت ٣٩٥ هـ) ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الفكر ، بَيْرُوْت ، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م : ٥/ ٩٩.

(٥) ينظر الْمُعْجَم الوَسِيْط ، قام بإخراجه : إبْرَاهِيم مصطفى ، وأحمد حسن الزيات ، وحامد عبد القادر ، ومُحَمَّد علي النجار ، دار الدعوة ، تركيا ، ط٣ ، ١٩٨٩م باب القاف: ٢/ ٤٠٢.

(٦) ينظر تَهْذِيب اللُّغَة ، لأبي منصور مُحَمَّد بن أَحْمَد الأزهري ، (ت ٣٧٠ هـ) ، تحقيق : أَحْمَد عبد العليم البردوني ، مراجعة : علي مُحَمَّد البجاوي ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، مصر ، بلا تاريخ باب قدر: ٣/ ١٨٣، ولسان العرب باب قدر: ٥/ ٧٤.

(٧) لقضاء والقدر ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية ، بَيْرُوْت ،بلا تاريخ : ١/ ٢.

(٨) ينظر المعجم الوسيط باب القاف: ٢/ ٣٥٢.

(٩) ينظر مقاييس اللغة: ٥/ ٦٢.

(١٠) ينظر مُفْرَدَات في غَرِيب الْقُرْآن ، لأبي القاسم بن حسين بن مُحَمَّد المعروف بالراغب الأصفهاني ، (ت ٥٠٢هـ) ،

ثالثاً ـ القضاء والقدر في الاصطلاح:

بعد تعريف القضاء والقدر في اللغة تبين بأنهما يجتمعان في بعض المعاني ويختلفان في بعض، أَمّا في الاصطلاح الشرعي فإنَّ العلماء انقسموا على فريقين، فريق لا يفرق بينهما، وَعَدَّ القضاء هو القدر، وبالعكس، وفريق يفرق بينهما، وَيقول: القضاء غير القدر، أُبَيِّنُها على وفق الآتي:

الفريق الأَوَّل: « قال جمع من أهل العلم: إنَّ القضاء والقدر بمعنىً واحدٍ؛ لأجل أَنَّهم لحظوا أَنَّ معنى القضاء في معنى القدر، وأَنَّ القضاء والقدر لا فرق بينهما.

ممن ذهب إلى ذلك جماعة من أهل العلم، منهم ابن الجوزي، وكثير من العلماء السابقين»[1].

ومن القائلين بذلك ابن الأثير، إذ قال: «فالقضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ لأن أحدهما بمنـزلة الأساس وهو القدر، والآخر بمنـزلة البناء وهو القضاء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه»[2].

الفريق الثَّاني: فرقوا بين القضاء والقدر، وفصلوا ذلك على أقوال عدة، منها:

قال الإمام أبو حامد الغزالي: « القضاء: وهو الوضع الكلي للأسباب الكلية الدائمة. القدر: وهو توجيه الأسباب الكلية بحركاتها المقدرة المحسوبة إلى مسبباتها المعدودة المحدودة بقدر معلوم، لا يزيد ولا ينقص»[3].

قال الراغب الأصفهاني: «القضاء من الله تعالى أخص من القدر ، لأنّه الفصل بين التقديرين ، فالقدر هو التقدير ، والقضاء هو الفصل والقطع»[4].

وقال نظام الدين القُمِّيُّ: « القضاء هو الحكم الكلي الواقع في الأزل ، والقدر هو صدور تلك الأحكام في أزمنتها المقدرة»[5].

وقال الجرجاني: «القدر تعلق الإرادة الذاتية بالأشياء في أوقاتها الخاصة، فتعليق كل حال من أحوال الأعيان بزمان معين وسبب معين عبارة عن القدر وخروج الممكنات من العدم إلى الوجود واحدا بعد واحد مطابقا للقضاء، والقضاء في الأزل والقدر فيما لا يزال، والفرق بين القدر والقضاء هو أن القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة

دار القلم ، دمشق ، بلا تاريخ ص ٦٥٩ ، التكملة والذيل والصلة ، لرضى الدين الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني ، (ت ٦٥٠هـ) ،تحقيق: عبد العليم الطحاوي ، مراجعة: عبد الحميد حسن ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٤م ٣/ ١٥٩-١٦٠.

(١) شرح العقيدة الطحاوية : صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ومجموعة من العلماء، المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٢م، تعليق: ناصر الدين الألباني، ص ٢٣٩.

(٢) لنهاية في غريب الحديث والأثر ٤/ ٧٨.

(٣) لأربعين في أصول الدين: الإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، ت ٦٠٤هـ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد، الطبعة الأولى ١٩٥٣م، ص ٢٤.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن ص ٦٧٤، وينظر: عمدة القاري ٢٣/ ١٤٥.

(٥) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٦/ ٢٣٠.

والقدر وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها»[1] .

وقال ابن حجر العسقلاني: «القضاء الحكم بالكليات على سبيل الإجمال في الأزل ، والقدر الحكم بوقوع الجزيئات التي لتلك الكليات على سبيل التفصيل»[2] ، وقال في موضع آخر: « قال العلماء: القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل ، والقدر جزيئات ذلك الحكم وتفاصيله «[3] .

أَمَّا الأشاعرة: فالقضاء عندهم هو إرادة الله الأزلية المتعلقة بالأشياء على وفق ما توجد عليه في وجودها للحوادث، والقدر إيجاد الأشياء على مقاديرها المحددة في كل ما يتعلق بها[4] .

وأَمَّا الماتُريدية : فالقضاء عندهم هو الخلق الراجع إلى التكوين، أي بالإيجاد على وفق القدر السابق، والقدر ما يتعلق بعلم الله الأزلي؛ وذلك بجعل الشيء بالإرادة على مقدار محدد قبل وجوده[5] .

أَمَّا الراغب الاصفهاني فقد قال: والقضاءُ من الله أَخصّ من القَدَر؛ لأَنه الفصل بين التقدير، والقَدَر هو التقدير، والقضاءُ هو التفصيل والقطع. وذكر بعض العلماء : أَنَّ القَدَر بمنـزلة المُعَدّ للكيل، والقضاءَ بمنـزلة الكيل، ولهذا قال أَبو عُبَيدة رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه لَمَّا أَراد الفرار من الطَّاعون من الشَّام: (أَتفرّ من القضاء؟ قال: أَفرّ من قضاء الله إلى قدر الله)[6] ، تنبيهاً أَنَّ القَدَر ما لم يكن قضاء فمرجوّ أَن يدفعه

(١) لتعريفات ص ٢٢٠.

(٢) فتح الباري ١١/ ١٤٩، وينظر عمدة القاري ٣٣/ ١٤٥.

(٣) فتح الباري ١١/ ٤٧٧.

(٤) ينظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم القحطاني النجدي، ت ١٣٩٢هـ، ١/ ٢٥٥، و الدين الخالص: محمد صديق خان القنوجي، دار العروبة ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٩م، ٣/ ١٥٤، والعقيدة الإسلامية وأسسها ص ٦٢٦.

(٥) ينظر: العقائد النسفية مع شرحها للتفتازاني ص ١١٢ ـ ١١٣، والعقيدة الإسلامية وأسسها ص ٦٢٦.

(٦) ذكره الراغب بهذا اللفظ في مفرداته بدون سند ص ٦٧٦ ، مادة (قضى)، وملا علي القاري بدون سند : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي بن سلطان محمد القاري، ت ١٠١٤هـ، دار الكتب العلمية لبنان/ بيروت الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م، تحقيق: جمال عينتابي . كتاب الإيمان، باب الإيمان بالقدر ١/ ٢٥٧، وفي كتاب الدعوات، ٥/ ١٢١. وقد أخرج البخاري ، ومسلم، ومالك، وعبد الرزاق الصنعاني، وأبو يعلى، والشاشي، وابن حبان عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما من حديث طويل وفيه: (قال أبو عُبَيْدَةَ بن الْجَرَّاح رضي الله عنه : أَفِرَارًا من قَدَرِ اللَّهِ فقال عُمَرُرضي الله عنه: لو غَيْرُكَ قَالَهَا يا أَبَا عُبَيْدَةَ نعم نَفِرُّ من قَدَرِ اللَّهِ إلى قَدَرِ اللَّهِ). صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، رقم ٥٣٩٧ ، ٥/ ٢١٦٣، صحيح مسلم، كتاب السلام ، باب الطاعون والطيرة وغيرها ، رقم ٢٢١٩، ٤/ ١٧٤٠، موطأ مالك، باب ما جاء في الطاعون، رقم ١٥٨٧، ٢/ ٨٩٥، مصنف عبد الرزاق، باب الوباء والطاعون، رقم ٢٠١٥٩، ١١/ ١٤٧، مسند أبي يعلى، رقم ٨٣٧، ٢/ ١٥٠، مسند الشاشي، رقم ٢٣٥، ١/ ٢٦٧، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، ت ٣٥٤هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٣م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، باب ما جاء في الصبر وثواب الأمراض والأعراض، رقم ٢٩٥٣، ٧/ ٢١٩. وليس فيه لفظ القضاء الذي هو موضع الشاهد الذي من

الله، فإذا قُضِيَ فلا يندفع، ويشهد لهذا قوله تعالى: (وكان امرا مقضيا)[1] [مريم:[٢١، ومنه قولهم: المَقْضِيّ كائن، وَقُضِيَ الأَمْرُ، أي: فصل، تنبيها أَنَّه صار بحيث لا يمكن تلافيه[2].

وقال صالح بن عبد العزيز آل الشيخ في شرح الطحاوية: « وأما فيما دَلَّتْ عليه نصوص الكتاب والسنة فإنَّ القَدَرَ غير القضاء، وهذه الغيرية بمعنى أنَّ القَدَرَ أَعَمُّ من القضاء، والقضاء قد يكون بعض مراتب القَدَرِ من حيث الإطلاق؛ ولهذا قال بعض أهل العلم في تبيين ذلك: إنَّ القضاء هو القَدَرُ إذا وقع، وقبل وقوع المقدر لا يسمى قضاءً؛ ذلك لأنَّ كلمة قضاء -كما رأيت في معناها في اللغة وفي استعمالات القرآن أنها بمعنى الإنهاء، إنهاء الشيء، إنهاء الخلق إلى آخره، والقَدَرُ إذا وقع وانتهى صار قضاءً،(قضى الامر الذي فيه تستفتيان)[3] ، يعني: انتهى، (فاقض ما انت قاض)[4]، يعني أحكم بما شئت وأنهى الأمر على أي وجه شئت. فإذاً يكون القضاء هو إنهاء القَدَر»[5].

هذه هي أهم الأقوال للفرق الإسلامية المشهورة بين القضاء والقدر، ذكرتها بإيجاز، ونخلص منها إلى ما يأتي:

١ ـ قسم فرقوا بين القضاء والقدر، وليس لهم دليل واضح من الكتاب والسنة يفصل في القضية.

٢ ـ قسم لم يفرقوا بين القضاء والقدر، وعند إطلاق أحدهما فإنه يراد به الآخر.

فالقضاء والقدر راجعان لما تَقَدَّم من العلم والإرادة وتعلق القدرة، لكن لَمَّا كان خطر الجهل في هذا الفن عظيماً صَرَّحَ المتكلمون بهما[6].

المطلب الثاني : حكم الدين في القضاء والقدر

لكي يتضح لنا حكم الدين في القضاء والقدر لابد أن نشرح نقاطاً ثلاث تعتمد عليها النظرية ، في الإطار الذي يرسمه الإسلام لها:

١ عدم خروج ممكن عن دائرة القضاء والقدر: من مسلمات الدين أن الأحداث الاجتماعية بمجموعها تنشأ عن قضاء وقدر إلهي ، وان علم الله محيط بجميعها، وان مشيئة الله تعالى هي المرجحة لجميع الموجودات .

فإن قدرة الله سبحانه وراء كل شيء ، وليس من شيء أو حدث يخرج عن علم الله ومشيئته ، يقول القرآن الكريم في ذلك: [**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**][7] , وقال تعالى: [**يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ**][8]. وقال تعالى: [**قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا**

أجله ساقه الفيروزآبادي، وقبله الراغب الأصفهاني.

(١) سورة مريم الاية ٢١

(٢) لمفردات في غريب القرآن ١/ ٤٠٧.

(٣) سورة يوسف الاية ٤١ .

(٤) سورة طه الاية ٧٢ .

(٥) شرح العقيدة الطحاوية : صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ص ٢٣٩.

(٦) ينظر: شرح الباجوري على الجوهرة ص ١٨٩.

(٧) سورة الحديد, الآية: ٢٢.

(٨) سورة آل عمران, الآية: ١٥٤.

يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا][1] .

٢ـ استتار القدرة الإلهية بالأسباب والمسببات: من الواضح أن المشيئة الإلهية تنفذ في الكون ضمن سلسلة طويلة من الأسباب والعلل ، ويتحكم مبدأ العلية ظاهرا في كل شيء, فإن الأحداث الكونية والاجتماعية تنشأ عن أسبابها وعللها التي لا تتخلف عنها في غالب الأحوال ، ولكل حدث علته التي تسبب وجوده (القضاء) ، وتحدد شكله وتقدر حدوده (القدر) وفي الغالب لا يتخلف قانون العلية هذا ، ولا أن يحدث شيء دون سبب وعلة ؛ موجبة له .

وعلة كل شيء هي التي تقضي وجوده، وتقدر شكله ونوعه. ولا ينافي هذا الأصل، الأصل المتقدم؛ من إسناد الأحداث إلى قضاء الله وقدره ومشيئته وعلمه.

فإن الله تعالى هو الخالق لهذه السلسلة الطويلة من الأسباب والعلل في العقيدة الدينية وإليه تنتهي هذه السلسلة الممتدة من الأسباب والعلل. وكما يجوز إسناد هذه المعلولات إلى عللها كذلك يجوز إسنادها إلى الله تعالى, من حيث انه خالق هذه السلسلة من العلل وخالقها، والمهيمن عليها. ومن هنا قيل : إن في المقتول معنيين قتلاً هو من فعل الفاعل وموتاً هو من الله تعالى وحده[2] .

٣ـ إن الإنسان يملك حرية الاختيار والتصرف، فهو يستطيع باختياره أن يضع نفسه أي موضع يشاء من هذه الأسباب والعلل ، وله ملئ الحرية في هذا الاختيار والتصرف وإن كان لا خيار له بعد ذلك فيما يترتب على هذا السبيل أو ذاك من خير أو شر, فإن الإنسان يواجه في حياته عوارض مختلفة، قد تغير النتيجة التي يسعى إليها حسب قانون العلية.

وليس بين هذا الاختيار وحتمية النتائج التي تؤدي إليها هذه العوارض من تناف.. فإن حتمية النتائج لا تؤدي إلى سلب اختيار الإنسان في اختيار هذا السبيل أو ذاك ، وفي اختيار هذه الجهة أو تلك ، وإن كان الإنسان لا يملك بعد الاختيار أن يتجنب النتائج الحتمية التي يؤدي إليها اختياره, فإن كل سبيل من هذه السبل علة لنتيجة لا تتخلف عن سببها (بموجب قانون العلية) .

وإنكار الاختيار في الإنسان، واعتباره أداة متحركة بفعل عوامل خارجة عن إرادته واختياره، كما يتحرك كما يتحرك النبات والجماد بتأثير من عوامل خارجة عنها.. شيء يرفضه الوجدان ، فإن الكائنات الأخرى من غير الإنسان ليس أمامها إلا سبيل واحد تسلكه دون أن يكون لها اختيار في هذا السلوك ، وتنتهي إلى نتائجها الحتمية بقانون العلية ، بينما الإنسان يجد من نفسه بوضوح أنه يواجه دائماً أكثر من طريق واحد ، ويقف دائماً على مفترق طرق كثيرة ، في كل شؤون حياته وتحركاته ، وأنه يملك كامل الحرية والاختيار في سلوك هذا السبيل أو ذاك ، وفي اختيار هذه الجهة أو تلك, وليس من تناف بين (حتمية

(١) سورة النساء , الآية: ٧٨.

(٢) روح المعاني: ٣/ ٢٤٧.

النتائج) التي هي نتيجة طبيعية لقانون العلية ، ومبدأ الإيمان بالقضاء والقدر.

المطلب الثالث : القضاء والقدر خيره وشره

كثُر في القران الكريم بيان أن الله لو شاء لهدى الناس جميعا ، ولو شاء لآتى كل نفس هداها ، ولو شاء لجعل الناس امة واحدة ، ومن ذلك :

(ا) قوله تعالى [**وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**][1].

(ب) وقوله تعالى [**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**][2].

(ج) وقوله تعالى [**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ**][3].

(د) وقوله تعالى [**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**][4] .

ولكي نفهم المراد من هذه الآيات ونظائرها ـ والله اعلم لابد من أن نمهد لذلك بما يأتي:

إذا تأملنا في واقع الأمر تبين لنا احتمالات ثلاثة للمشيئة الربانية وهي :

١ـ مشيئة الله تعالى في أن يجعل الناس مجبرين على سلوك طريق الهداية دون أن يستطيعوا غير ذلك .

٢ـ مشيئة الله تعالى في أن يجعل الناس مجبرين على سلوك طريق الضلالة دون أن يستطيعوا غير ذلك .

٣ـ مشيئة الله تعالى في أن يجعل الناس مخيرين ، فمن شاء منهم اختار بإرادته الحرة طريق الخير ، ومن شاء منهم اختار بإرادته الحرة طريق الشر .

ومعلوم ـ كما سبق ـ انه متى تعلقت مشيئة الله ـ جل وعلا ـ بأحد هذه الاحتمالات الثلاثة ؛ استحال في الوقت نفسه أن تتعلق بغيره من الاحتمالات الأخرى .

لكنه مع ذلك يقال : لو شاء أي احتمال آخر منها لفعل ، لكنه لم يشأ ، لأنه قد شاء بحكمته غيره .

وهنا يخفى على كثير من الباحثين في تفسير الآيات السابقة وأمثالها تصور الاحتمال الثالث من الاحتمالات السابقة ؛ وحيث خفي عليهم ذلك لم يبق لديهم إلا احتمالان ، هما : احتمال الإجبار على الهداية ، واحتمال الإجبار على الضلالة .

وبناء على ذلك يقولون : إذا لم يشأ الهداية فقد شاء الضلالة ، وبذلك يقعون في الخطأ ، لأننا نقول: إذا لم يشأ الإجبار على الهداية فلا يلزم من ذلك انه شاء لهم الضلالة ، لاحتمال أن يكون قد شاء لهم الأمر الثالث ، وهو أن يكونون مخيرين ، فإما أن يختاروا لأنفسهم طريق الهداية ، وإما أن يختاروا لأنفسهم طريق الضلالة ، وهذا الاحتمال الأخير هو الاحتمال الذي ينبغي المصير إليه ، جمعا بين مختلف الأدلة العقلية والنقلية ، كما سبق بيانه في عقيدتنا حول ركن الإيمان

(١) .سورة السجدة , الاية: ١٣
(٢) .سورة يونس, الاية : ٩٩
(٣) .سورة هود, الاية : ١١٨
(٤) .سورة المائدة, الاية :٤٨

بالقضاء والقدر .

وبعد هذا التمهيد نستطيع أن نفهم الآيات السابقة على الوجه التالي ـ والله اعلم بمراده ـ :

أما آية (السجدة) : [**وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**][1]

أي : « ولو شئنا « أن تكون الأنفس كلها مفطورة على سلوك سبيل الهداية فقط لسلبناها منحة الاختيار وقدرة الكسب ، ولجعلناها أنفسا مجبرة لا اختيار لها ، ولو أننا جعلناها كذلك لكان من مقتضى الحكمة أن نؤتي كل نفس هداها و « لآتينا كل نفس هداها « ؛ «ولكن «حيث تمت الحكمة بان توهب هذه الأنفس الاختيار الحر والقدرة على الكسب ضمن دائرة التكليف ؛ فقد « حق القول مني « الذي يتضمن وعيد المستكبرين المعاندين من الجنة والناس ، وهو « لأملان جهنم من الجنة والناس أجمعين «.

وأما آية (يونس) : [**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**][2].

إي : «ولو شاء ربك « لسلب من في الأرض من انس وجن إرادتهم الحرة وقدراتهم على الكسب ، فجعلهم مجبرين مكرهين على الطاعة بالفطرة ، ولو كان الأمر كذلك « لآمن من في الأرض كلهم جميعا « ، لان الله إذا جعلهم مجبرين غير مختارين فلا يختار لهم ـ بحكمة ـ إلا الإجبار على الإيمان والطاعة ؛ ولكن ما شاء الله أن يكونوا مخيرين في دائرة التكليف التي خصصها لامتحانهم ؛ فلا بد أن يختار قسم منهم بإرادته الحرة الإيمان ، وان يختار قسم آخر منهم الكفر ، وإذا كان الأمر كذلك يا محمد «أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين «. وقد فطروا مخيرين غير مكرهين ؟!

أما آية (هود) : [**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ**][3].

أي : « ولو شاء ربك « لسلب الناس ما وهبهم من إرادة حرة وقدرة على الكسب ؛ و» لجعل الناس « بعد ذلك « امة واحدة « مفطورة على الهدية فقط ، ضرورة أن الله لا يختار فيهم عندئذ إلا الهداية ، «و» لكن حيث أعطاهم الله الإرادة الحرة ف «لا يزالون مختلفين « لان طبيعة منحة الاختيار تؤدي حتما إلى الاختلاف .

وأما آية (المائدة): [**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**][4] .

أي : «ولو شاء الله « أن يجعلكم امة واحدة لم يمنحكم الإرادة التي وهبكم إياها ولجعلكم مجبرين

(١) .سورة السجدة, الاية : ١٣

(٢) .سورة يونس, الاية : ٩٩

(٣) .سورة هود, الاية : ١١٨

(٤) .سورة المائدة, الاية :٤٨

غير مختارين ، ولو انه جعلكم كذلك « لجعلكم امة واحدة « كما جعل سبحانه وتعالى الملائكة مسوقين بقضاء الله وقدرة إلى الطاعة التامة ؛ ولكنه آتاكم سلطة الإرادة الحرة ضمن دائرة التكليف التي أراد أن يمتحنكم فيها «ليبلوكم فيما آتاكم « ؛ ولو انه جعلكم امة واحدة لم تتحقق حكمته تعالى في ابتلائكم وامتحانكم ، وإذا تمت حكمته تعالى بتكريم بهذه المنحة ، ووضعكم موضع الاختبار ، فقد كلفكم أن تتسابقوا في فعل الخيرات ضمن حدود استطاعتكم ، « فاستبقوا الخيرات « لتنالوا الحمد والأجر يوم ترجعون إلى الله : «إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون « .

وعلى هذا المنوال يمكن فهم كثير من النصوص القرآنية المقاربة في مدلولاتها لهذه الآيات التي أوردناها ؛ والله اعلم بمراده .

ونطالع أيضاً في القران الكريم نصوصا كثيرة تثبت أن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء ويشكل فهم هذه النصوص على كثير من الباحثين في ضوء صورة الإيمان الحق بقضاء والقدر، ويذهبون في تأويلها مذاهب شتى ولدى تتبع نصوص القران المجيد نلاحظ انه قد ورد فيها استعمال الهداية والضلالة في أربعة معان ، وفيما يلي بيان هذه المعاني مع شواهدها من الآيات القرآنية [1] :

أولا : الهداية : بمعنى الدلالة والإرشاد والتعليم .

الضلالة : بمعنى الجهل بالحقيقة والعمى عن طريقها.

وعلى هذا يكون الإضلال : بمعنى الإبقاء في الجهل ، أو بمعنى الإغواء الذي يصور الباطل بصورة الحق ؛ وهو ما يقوم به الموسوسون المضللون من الإنس أو الجن .

ويشهد بذلك نصوص كثيرة ، منها ما يلي :

(ا). قوله تعالى [**الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**][2] فكون القران هدى للمتقين قد جاء بمعنى الدلالة والإرشاد والتعليم ، للذين يتحققون بالنواة الأولى للتقوى ، وهو إرادة اجتناب كل ما ينهى الله عنه ، وامتثال كل ما يأمر الله به .

(ب). قوله تعالى : خطابا لنبيه صلى الله عليه وسلم : [**وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى**][3].أي : ووجدك جاهلا بالمعارف الدينية فعلمك إياها.

(ج). قوله تعالى : [**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ (٣) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلاَّهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ**][4] . أي :من جعل الشيطان مولاه فانه يضله ، أي : يغويه

(١) يمكن الاستفادة من القاعدة (٣٧) من كتاب «قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل «حول إسناد الفعل أو ما في معناه ،أو من قام به ،أو مسببه ،أو آمر به ،أو الداعي له ، أو المتهم أو المتهم أو القاضي به أو واجده والعاثر عليه ، والواصل إلى العلم به ،أو غير ذلك .

(٢) سورة البقرة آية :١-٢

(٣) سورة الضحى, الاية :٧

(٤) سورة الحج, الايتان : ٣ـ٤

ويوسوس له ، ويصور له الباطل بصورة الحق ويزينه له . ويهديه إلى عذاب السعير ، أي : يوصله إلى هذا المصير السيئ بسبب ما يوسوس له ويزين لقلبه .

(د). وقوله تعالى: حكاية لما يخاطب به المجرمين من بني ادم يوم القيامة –[**وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (٥٩) أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لاَ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلاً كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٦٣) إِصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ**][1]، جبلا كثيرا :أي خلقا كثيرا .

فقوله تعالى : { ولقد أضل منكم جبلا كثيرا } : ورد في سياق أمر المجرمين يوم القيامة بان يمتازوا تمهيد لتعذيبهم في جهنم .

والظاهر أن ذلك سيكون بعد الحساب وتقرير نتائجه ، ومن نتائجه إضلال من كان في دنياه من أهل الضلالة ، أي إثبات الضلالة له ، والحكم عليه بها .

وبناء على ذلك يمكن فهم الآيات على الوجه التالي :

يقال للمجرمين في آخر موقف الحساب يوم القيامة : «وامتازوا اليوم أيها المجرمون « ، أي بعد أن تم حسابهم ، وثبت تجريمكم .

ثم يخاطب الله بني ادم عامة ـ المجرمين وغير المجرمين ـ بقوله : «الم اعهد إليكم يا بني ادم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين . وان اعبدوني هذا صراط مستقيم « ؟! فكان منكم من أطاع واستقام وكان منكم من عصى وأجرم ؟! والمجرمون الكثيرون منكم قد أضلهم الشيطان بوساوسه ودسائسه .

لذلك يقول لهم سبحانه حينئذ : «ولقد أضل منكم جبلا كثيرا « ؛ مشيرا إلى كتل المجرمين الذين أمرهم الله بان يمتازوا .ثم يلتفت خطاب الله بالى المجرمين أنفسهم فيقول لهم «أفلم تكونوا تعقلون « .

ما عهدت إليكم به في الدنيا على السنة رسلي ؟! «هذه جهنم التي كنتم توعدون . إصلوها اليوم بما كنتم تكفرون «![2]

ثانيا:الهداية : بمعنى وجود الشرط والعثور عليه .

يقال اهتدى إليه :بمعنى وجده وعثر عليه .

الضلالة: بمعنى الضياع .يقال ضل عنه : أي ضاع عنه . ويقال : أضله أي ضيعه.

ومنه قوله تعالى ـ حكاية لقول الدهريين ـ [**وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ**][3].

أي : أئذا ضعنا في الأرض وتفتتت أجزاؤنا أنخلق خلقا جديدا ؟! ويقولون هذا القول على سبيل

(١) سورة يس, الايتان: ٥٩ ٦٤

(٢) ينظر تفسير الطبري : ٢٠/ ٥٤٣-٥٤٥ ، ومعالم التنزيل لمحيي السنة الحسين بن مسعود البغوي [المتوفى ٥١٦ هـ [، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر عثمان جمعة ضميرية سليمان مسلم الحرش ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة : الرابعة ، ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م : ٧/ ٢٣-٢٥.

(٣) سورة السجدة, الاية : ١٠

الاستغراب والاستبعاد ، مستدلين بذلك على نفي البعث !!

ثالثا: وتستعمل «هدى « بمعنى اثبت الهداية وحكم بها ، أو نسب غيره إلى الهداية .وتستعمل « أضل » بمعنى اثبت الضلالة وحكم بها ، أو نسب غيره إلى الضلالة .

ولذلك نلاحظ في نصوص القران الكريم ما يتضمن أن الله يهدي من يشاء : بمعنى يثبت لهم ألهداية ، ويحكم لهم بها . ومشيئة سبحانه لابد أن تكون موافقة لعلمه حكمته وعدله .

كما نلاحظ نصوصا تتضمن أن الله يضل من يشاء : بمعنى يثبت لهم الضلالة ويحكم عليهم بها .

أو تتضمن أن الله أضل فريقا من عباده : بمعنى اثبت فعلا أنهم ضالون ، وحكم عليهم بهذا الوصف . ولهذا المعنى مستند من اللغة ، فقد ثبت في اللغة أن (أضل الرجل) تأتي بمعنى انه وجده ضالا ، ومنه يستعملون « أتى فلان قومه فأضلهم « أي فوجدهم ضالين .

وفيما يأتي أهم ما أشكل في هذه المسألة :-

يتجلى ذلك في قوله تعالى [**فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ**][1].

تبدو هذه الآية في قمة ما يشكل فهمه من النصوص القرآنية على كثير من الباحثين ؛ ليتم انسجام النصوص المتعددة انسجاما لا يرافقه إشكال ، متفقا مع العقيدة الحقة في القضاء والقدر كما قررناها سابقا .

ولدى التأمل فيها نستطيع أن نفهم منها الآتي :-

ذلك أن الهداية التي تتعلق بها إرادة الله والمعلن عنها في قوله تعالى : «فمن يرد الله أن يهديه «، تأتي على عدة احتمالات أظهرها اثنان وهما :

الاحتمال الأول : أن تكون الهداية بمعنى تحقيق النتائج فعلا . وقد سبق أن قررنا في عقيدتنا في القضاء والقدر أن تحقيق النتائج بعد اتجاه إرادة الإنسان إنما يتم بقضاء الله وقدره .

الاحتمال الثاني : أن تكون الهداية بمعنى التثبيت والتأييد والتوفيق.

وهذا أيضا يتفضل الله به ـ بقضائه وقدره ـ على عباده الذين تتجه إرادتهم الجازمة الصادقة لطلب الحق والإيمان به وسلوك سبيله ؛ كما سبق بيانه .

وعلى كل من هذين الاحتمالين نستطيع أن نفهم معنى قوله تعالى : « يشرح صدره للإسلام « وذلك بان يشرح الله صدره لإعلان الإسلام وتطبيقه ، وأتباع أوامره واجتناب نواهيه ، بعد ان تتجه إرادة العبد الحرة الجازمة الصادقة إلى الإيمان ، فيكون شرح الصدر الذي ينعم به القضاء والقدر توفيقا إلهيا يساعد الإنسان على تحقيق ما اتجهت إليه إرادته الصادقة الجازمة ، فاعلان الإسلام وانشرح الصدر له فرع الإيمان الصادق ، واثر من آثاره في قانون النفس

(١) سورة الأنعام, الآية : ١٢٥

الإنسانية .وهذا لازم قدري .

إما قوله تعالى : « ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء « : فنستطيع أن نفهم معناه مقابلا تماما لمعنى « فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للإسلام « ؛ وذلك بان تكون الضلالة التي تتعلق بها إرادة الله موجهة إلى احد احتمالين هما:

١ـ أن تكون الضلالة ألمراده بمعنى تحقيق النتائج فعلا ، كما ذكرنا في جانب الهداية.

٢ـ أن تكون الضلالة ألمراده بمعنى المد والإمهال ، وتيسير سبل الضلال وعدم نصب العقبات فيها .

وإنما يكون ذلك عقابا من الله يعاقب به من تتجه إرادتهم الجازمة إلى إنكار الخالق ، والجحود بدنيه ، والخروج على الطاعة ، فرفض إعلان الإسلام والدخول فيه فرع عدم الإيمان بالله ، واثر من آثاره في قانون النفس الإنسانية . وهذا لازم قدري .

وعلى كل من هذين الاحتمالين يمكن بيسر فهم قوله تعالى : « يجعل صدره ضيقا حرجا « . وذلك بان يجعله ضيقا حرجا عن إعلان الإسلام ، والسعي لتطبيقه ، وإتباع أوامره واجتناب نواهيه ، وإنما يكون ذلك بعد أن تتجه إرادة العبد الحرة الجازمة إلى الكفر بالله ، وجحود نعمه ، والخروج على طاعته . فيكون جعل صدره ضيقا حرجا نوعا من العقوبة له على ما سبق منه ؛ واثر من الآثار الطبيعية للسلوك الإرادي ، إذا اتجهت إرادته إلى الكفر وصممت عليه ، ولذلك نلاحظ ا ن الله تعالى ختم الآية بقوله : «كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون « ؛ إشارة إلى ان جعل صدورهم ضيقة حرجة نوع من الرجس الذي يعاقب الله به الذين يستكبرون على الإيمان والطاعة[1] .

ونلاحظ أيضاً نصوصا كثيرة في القران والسنة تثبت سبق علم الله بما سينتهي عليه حال الإنسان ؛ سواء ما كان منه داخلا في كسبه وإرادته ودائرة ابتلائه ، أو ما كان منه خارجا عن دائرة كسبه ، وإنما يجري له أو عليه بمحض القضاء والقدر .

وفيما يلي طائفة من النصوص التي تدخل في هذه المجموعة ، وتدل على سبق علم الله بكل شيء ، وقد عرفنا فيما سبق أن سبق العلم لا يعني ارتباط القدرة والإرادة به في كل الأحوال ؛ لان علم الله يحيط بما هو واجب عقلا ، وما هو مستحيل عقلا ، وما هو جائز عقلا ، ما كان منه فيما مضى وما لم يكن ، وما هو كائن فعلا ، وما سيكون مما يختاره الله في مخلوقاته ، ومما سيختاره عبيده الذين منحهم بإرادته تعالى سلطة الإرادة والاختيار :

(١) .قوله تعالى في سورة [**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْ لاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**][2].

فهذه الآية نص على انه ما من مصيبة تنزل في

(١) ينظر البغوي ٣/ ١٨٦، وتفسير القرطبي٧/ ٨٠-٨١ .

(٢) سورة الحديد, الايتان : ٢٢-٢٣

الأرض ولا في الأنفس إلا وقد سبق بها علم الله من قبل ؛ سواء كانت هذه المصيبة داخلة في دائرة القضاء والقدر الكبرى ، أو في دائرة كسب الإنسان الصغرى . ومعنى كونها في الكتاب : أي في علم الله المكتوب في اللوح المحفوظ[1].

(ب). قول الرسول ﷺ فيما رواه عبد الله بن مسعود :

" إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الله إليه الملك فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، واجله ، وعمله ، وشقي أو سعيد . فو الذي لا اله غيره ، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى يكون ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها . وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى يكون بينه وبينها إلا ذراع ؛ فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها "[2].

فهذا الحديث يدل بوضوح على سبق علم الله بكل شيء ؛ ولكن عرفنا أن ما سبق به علمه تعالى مما يتعلق بالإنسان قسمان : قسم منه يتم بمحض القضاء والقدر ، دون أن يكون لإرادة المخلوق تدخل فيه ، كرزق الإنسان واجله . وقسم يدخل ضمن دائرة الابتلاء والاختبار على ما بينا في عقيدتنا بالقضاء والقدر كعمل الإنسان الإرادي . وان كتابة هذه الأمور تسجيل للعلم الإلهي في صحف الملائكة. وعلى هذا المنوال يمكن فهم سائر النصوص التي تدخل في هذا الباب .

المبحث الثاني: العلاقة بين التخيير والتسيير في العقيدة الاسلامية

المطلب الاول : مشيئة الإنسان في التخيير

نطالع في القران الكريم نصوصا توضح مشيئة الإنسان الحرة في اختيار الإيمان أو الكفر ، ومشيئة الإنسان الحرة في أن يتخذ إلى ربه سبيلا ، فمنها :

(ا). قوله تعالى [**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا**][3] .

(ب).وقوله تعالى[**إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً (٢٩) وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٣٠) يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيما**][4].

فقد جعل الله في الآية الأولى مشيئة الإيمان ومشيئة الكفر للإنسان فقال : « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » ، ووضع مشيئته في موضع الحرية التامة ، ليصح بذلك ابتلاؤه وامتحانه ، ولذلك انذره بسوء عاقبة الظالمين الذين يشاءون الكفر ؛ فقال : «

(١) ينظر تفسير القرآن العظيم: ٨/ ٢٦-٢٧.
(٢) ينظر صحيح مسلم: ٨/ ٤٤ والترمذي: ٣/ ٣٠٢.
(٣) سورة الكهف, الآية :٢٩
(٤) سورة الإنسان, الآيات: ,٢٩ ,٣٠ ٣١

إنا اعتدنا لظالمين نارا ...» . كما نسب سبحانه في الآية الثانية إلى الإنسان المشيئة في اتخاذ السبيل إلى الله ؛ فقال تعالى : «إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا « .ثم اتبع ذلك بقوله تعالى : « وما تشاءون إلا أن يشاء الله « ، أي : وما تثبت لكم مشيئة حرة تشاءون بها (أي : جهاز مشيئة) إلا أن يسبقها مشيئة من الله تحدد منحكم هذا الاختصاص ؛ ولولا ذلك لم تستطيعوا أن تشاءوا أية مشيئة ، ولكنتم مجبرين غير مختارين, وقد منحكم الله ذلك بمشيئة المقرونة بعلمه وحكمته .» إن الله كان عليما حكيما « فمن شاء أن يتخذ منكم إلى ربه سبيل العمل الصالح ادخله الله بفضله في جنته ، وإنما يتم ذلك بمحض مشيئته . «يدخل من يشاء في رحمته « ، ومن شاء منكم أن ينحرف عن السبيل السوي فقد ظلم نفسه ، ومن كان من الظالمين استحق العذاب الأليم « والظالمين اعد لهم عذابا أليما « [1].

وأورد القران الكريم تعلل المشركين بمشيئة الله تعالى في إشراكهم وفي عبادتهم لغير الله ورد عليهم تعللهم هذا، وكذبهم في ادعائهم أن الله قد شاء لهم الشرك وعبادة غيره تعالى، وقال لهم:[**وَإِنْ أَنْتُمْ إِلاَ تَخْرُصُونَ**][2]

أي : تكذبون ـ وذلك :

(ا) في قوله تعالى: [**سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَ الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلاَ تَخْرُصُونَ (١٤٨) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**][3] .

(ب) وقوله تعالى[**وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ**][4].

ونستطيع بسهولة ووضوح أن نفهم هذين النصين فهما منسجما مع العقيدة التي قررناها في القضاء والقدر، واليك الشرح : إن قول المشركين الذي تحكيه آية (الإنعام): «لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء «؛ وقولهم الذي تحكيه آية (النحل) : «لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء «مستند إلى ادعائهم أن الله قد شاء لهم الإشراك به وشاء لهم عبادة غيره ، ولذلك كانوا مشركين به في عقيدتهم وفي عبادتهم ، وعبروا عن هذه المعنى بقولهم : «لو شاء الله ما أشركنا «، وقولهم: « لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء « !! ولذلك كذبهم الله في هذا الادعاء وأوعدهم بالعذاب ، فقال: « كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا باسنا « بسب هذا الكذب الذي كذبوه على الله ، وإصرارهم على كفر .

(١) ينظر معالم التنزيل : ٥/ ١٦٧ ، وتفسير ابن كثير ٥/ ١٥٤ .

(٢) سورة الأنعام, الاية : ١٤٨ .

(٣) سورة الأنعام, الآيتان : ١٤٨, ١٤٩

(٤) سورة النحل , الآية: ١٦ .

ثم طالبهم بالدليل على ما ادعوه ،فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم :» قل : هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وان انتم إلا تخرصون « ؟ ! أي هل عندكم من خبر عن الله يثبت مدَّعاكم هذا ؟! فان كان عندكم شيء من ذلك تحتجون به فأخرجوه لنا ! ولكنكم في الحقيقة لا تعتمدون في ادعائكم هذا على مستند علمي؛ وإنما تتبعون الظنون الكاذبة التي هو أوهام بعيدة عن الحقيقة !! ولذلك فما انتم في الحقيقة إلا تخرصون ، أي : تكذبون ، أو تعتمدون على التخمين ألتوهمي

ثم علم الله نبيه صلى الله عليه وسلم . أن يقول لهم : (فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين)؛أي إن الله قد شاء أن يمنحكم الإرادة الحرة ليمتحنكم في حدود ما وهبكم من الاستطاعة ؛ ولو شاء غير ذلك ـ أي لو شاء أن يجعلكم مجبرين ، لا خيرة لكم فيما تقومون به من إعمال ـ لكانت حكمته تقضي بان يهديكم أجمعين ، وفي هذه حجة عليهم بالغة صميم الحقيقة ، وبالغة غاية الإلزام بالحق ، ولله الحجة البالغة !![1][2].

المطلب الثاني : المشيئة الربانية في التخيير والتسير

لقد علمنا أن الله حكيم ، والحكيم لابد أن تكون أفعاله حكيمة ، ولابد أن يكون قضاؤه وقدره صادرين عن حكمته ، والحكمة هي في جانب الخير المطلق دائما ؛ ولكن قد يلزم من فعل الأمر الحكيم الذي هو خير ، لوازم تبدو في ظاهرها وبحسب تصور الناس لها أنها شر ، ولدى التحقيق في باطن أمرها يتبين أنها خير ، والحكم عليها بأنها شر هو من قصور نظر الناس ، ووقوفهم عند حدود الظواهر التي تخالف ما يحبون وما يشتهون .

والشر الوحيد في الوجود هو ما يصدر من المخلوق حينما يخالف أوامر الله ونواهيه ووصاياه لعباده .

إما أفعال الله تعالى فهي بمنظار الحقيقة من قبيل الخير المطلق ، وان كان بعضها بالنسبة إلى تصور الناس وإدراكاتهم الحسية الآنية شرا .

ولما وهب الله الإنسان في هذه الحياة الدنيا الإرادة الحرة ، ووضعه موضع الامتحان ليختار بإرادته الخلود في النعيم عن طريق الطاعة ، وكان هذا خيرا عظيما منحه إياه وشرفه به ، اقتضى ذلك أن يقلبه على ألوان وصور وأنواع شتى مما يحب ومما يكره ؛ ليشكر فيما يحب فلا يطغى ولا يكفر ، وليصبر فيما يكره فلا يضجر ولا يكفر .

وما يكره لابد أن يكون مؤلما ، وهذا المؤلم يراه الإنسان مصيبة ، ويراه سوءا ، ويراه شرا ، ولكنه في الواقع لون من ألون الامتحان لابد منه وفق مقتضيات الحكمة لتحقيق النجاح الصحيح لمن أراده ، وليكون عقبة فشل لمن لم يعبا بظروف الامتحان .

ولدى البحث العميق في واقع حال النعم

(١) ينظر جامع البيان في تأويل القرآن: ١٢/ ٢٠٨. وتفسير ابن كثير: ٣/ ٣٥٧

(٢) ينظر تفسير القرطبي: ١٠/ ١٠٣. وتفسير ابن كثير: ٣/ ٣٥٨

والمصائب التي تنزل بالناس بقضاء الله وقدره يتبين لنا أنها أمور اقتضتها حكمه الخالق العظيم في عالم الابتلاء ؛ وعالم الابتلاء هو الطريق الحتمي لعالم الجزاء ، وكلها لدى الحقيقة مشمولة بقاعدة الخير المطلق.

إن ألوان النعم التي يسميها الناس خيرا ، وألوان المصائب ، التي يسميها الناس شرا مما لا دخل لإرادة الإنسان فيه : لا تعدو أنها مظاهر تكمن فيها حكمة الخالق العظيم ، فليس شيء من المصائب الربانية ـ لدى التحقيق ـ بشر لذاته ، وان كان يسمى في مفهوم الناس شرا نظرا إلى صورته الظاهرة المؤلمة !!

كما يسمي قصير النظر من المرضى عمل الطبيب الجراح الناصح شرا ، متى شعر بألم من عمله .

وكما يسمي الطفل وسائل التربية الحازمة التي يربيه بها أبوه العاقل العالم الناصح شرا إذا آله في شيء أو حجر على هوى من أهوائه الجانحة عن سبيل الرشاد .

وكما يسمى الطالب القصير النظر وفرة ما يقدم له من معارف متعلقة بمادة مقررة عليه شرا ، ويسمى صور الامتحان التي يمتحنه بها مدرسه الناصح الأمين ليكشف مدى تحصيله شرا كذلك . وكما يسمي شدة ملاحظة المراقبين له شرا .

مع العلم بان هذه الأمور كلها وسائل من وسائل الحياة التي لا يتم تحقيق الخير العظيم إلا عن طريقها .

وحين نبحث عن الغايات الحكيمة التي تهدف إليها مقادير النعم والمصائب التي تنزل بقضاء الله وقدره ؛ تتبين لنا الغايات التالية :

الغاية الأولى: الابتلاء :

وذلك لأنه قد تقضي الحكمة في بعض الأحيان أن يكون الامتحان بالنعمة ، وقد تقتضي الحكمة في بعض أحيان أخرى ان يكون الامتحان بالمصيبة .

وفي ذلك يقول الله تعالى [**وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**][1].

أي : نمتحنكم بما تسمونه شرا من مصائب وبما تسمونه خير من نعم .

ومعلوم أن أصل الامتحان هو من قبيل الخير ، لأنه هو الطريق إلى نعيم الخلود لمن أراده[2] .

ويقول الله أيضا [**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**][3] .

ومن أمثلة الامتحان بما هو مكروه وما هو محبوب في تصرفاتنا الإنسانية؛ ما يجري من امتحان الطلاب في مختبر الكيمياء، فقد تكون المادة المطلوب تحليلها كريهة الرائحة منتنة ولكنها هي الوسيلة المناسبة لنجاح الطالب ، وظفره بما ينشده من شهادة .

وقد تكون المادة المطلوب تحليلها طيبة الرائحة، حسنة المنظر، فتشغل الطالب عن واجبه، ثم ينتهي الوقت دون أن يقدم عملا يحقق له النجاح المنشود !

فهل إعطاء المادة الكريهة التي كانت وسيلة

(١) .سورة الأنبياء, الآية : ٣٥

(٢) ينظر جامع البيان في تأويل القرآن ١٨/ ٤٣٩و تفسير القرآن العظيم ١/ ٢٥٩

(٣) .سورة البقرة, الآية :١٥٥

الحقيقة إن الامتحان خير ، لأنه هو الوسيلة إلى لتحقيق الخير ، والامتحان بالمكروه خير ، لأنه قد الوسيلة الفضلى للامتحان الأمثل .

الغاية الثانية ـ التربية والتأديب:

فقد تقتضي الحكمة أن نربي من نربيه ، ونؤدب من نؤدبه ، بما يحب تارة ، وبما يكره تارة أخرى .

فقد تكون التربية بتحمل المتاعب المؤلمة ، وبالدخول في المأزق الحرجة ، وبمعاركة المخاوف والمشاق .

وقد تكون التربية بالعطاء والتحبب والثناء، ولكل منها حالة ملائمة فيمن نربيه .

وكذلك يربي الله عباده ويؤدبهم بالمصائب تارة وبالنعم تارة أخرى.

ومن التربية الريانة للمسلمين بالمصيبة ما انزل الله بالمسلمين في غزوة احد ، وفي غزوة حنين :

فما كان في غزوة احد ، علم المسلمين أن يخرجوا عن واجب الطاعة للقيادة .

وما كان في حنين علم المسلمين أن لا يغتروا بكثرتهم، ولا يستهينوا بعدوهم .

الغاية الثالثة ـ الجزاء المعجل:

فقد تقتضي الحكمة العظيمة بان يجازي الله بعض عباده على بعض أعمالهم جزاء معجلا على ما عملوا من خير أو شر ، فيعطيهم شيئا من ثوابهم على ما فعلوا من خير ، أو يصيبهم بشيء من المصائب على ما فعلوا من شر .

وللجزاء المعجل في الدنيا اثر ظاهر في حفز همهم أهل الطاعة للاستزادة من فعل الخير وفي تذكير أهل المعصية حتى يتوبوا، وينتهوا عن فعل الشر ، وفي كل منهما عناية ربانية جليلة .

والمعجل من الثواب في الدنيا أنواع كثيرة لا تحصى من الرغائب المادية والمعنوية : منها النصر والتأييد ، والعز والسؤدد ، ومنها الشعور بالسعادة والطمأنينة ، ومنها اللذة بفيوض المعرفة الإلهية .

والمعجل من العقاب في الدنيا أنواع كثيرة لا تحصى مادية ومعنوية: منها العيش الضنك، ومنها الفشل والخذلان ، ومنها الشعور بالشقاء والقلق ، ومنها ضيق الصدر وتبلبل الفكر واضطراب النفس ، قد يكون معجل العقاب تكفيرا وتطهيرا .

ولدى ملاحظة هذه الحقائق يعلم المؤمن أن ما يجري به القضاء والقدر كله خير، وليس شيء منه في الحقيقة شرا .

لذلك يكون المؤمن مستقر النفس، مطمئنا سعيدا في حالتي النعمة والمصيبة ، والرخاء والشدة ، ولئن كان حسه الجسدي في الألم ، فان شعوره الروحي والقلبي في الرضا عن الله ، والتسليم التام له .

ولا تكون هذه السعادة القلبية والروحية لغير المؤمنين ؛ وفي ذلك يقول الرسول صلوات الله عليه في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم بن صهيب : « عجبا لأمر المؤمن ! إن أمره كله خير ـ وليس ذلك لأحد إلا لمؤمن ـ : إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له

، وان إصابته ضراء صبر فكان خيرا له «[1].

المطلب الثالث: التخيير عند الانسان

حين يتم للمسلم التصور الصحيح لمفهوم القضاء والقدر ، وفق الفهم الذي كان عليه السلف الصالح وأدركه أهل السنة والجماعة من بعدهم ؛ فانه لا يخلط بين الواقع المسؤولية الإنسانية وما يجري بمحض القضاء والقدر .

إما ما يجري بمحض القضاء فانه يستقبله بالتسليم والرضا ، ويعلم انه عين الحكمة التي اقتضتها إرادة الحكيم العليم .

وأما ما يقع في دائرة المسؤولية الإنسانية فانه يباشر فيه الأسباب التي اقتضتها سنة الله في كونه ، وأمرت بها شريعة الله فيما انزل على رسوله .

ويحاسب نفسه ويحاسب به الآخرين وفق حدود المسؤولية التي أناطها الله بالمكلفين من عباده .

فلا يلقي نفسه في التهلكة اعتمادا على ما يقتضي به المقادير الربانية ، لان هذا من حدود المسؤولية الإنسانية .

ولا يترك أسباب الكسب التي أمر الله بها اعتمادا على ما تقتضي به المقادير الربانية في الرزق . لان مباشرة أسباب الكسب من الحدود الإنسانية

ولا يترك الجهاد في سبيل الله لنصر دين الله ورد كيد أعداء الله ، اعتمادا على ما تقتضي به المقادير الربانية من النصر والهزيمة ، لان القيام بواجب الجهاد في سبيل الله من حدود المسؤولية الإنسانية .

ولا يترك إعداد المستطاع من القوة ، اعتماد على قوة الله القادر على نصر أوليائه على أعدائه .

لان إعداد المستطاع من القوة لإرهاب أعداء الله وأعداء المسلمين من حدود مسؤولية المسلمين .

وهكذا إلى سائر الأسباب التي تقع ضمن حدود مسؤولية الإنسانية.

وبعد أن يتخذ المسلم مختلف الأسباب المادية التي أمر الله باتخاذها لتحقيق النتائج المطلوبة التي تقع ضمن دائرة المسؤولية والتكليف ؛ يلاحظ أن ما يرجوه من نتائج محاط باحتمالات فشل كثيرة ، لا تملك استطاعته سد ثغراتها ، وتفادي مخاطرها ، فهو من كل جانب مهدد بان لا تنفعه أسبابه ولا وسائله ، ولذلك فهو يباشر الأسباب وفق سنن الله في كونه ، واو مره في شريعته ، ويلتجئ بقلبه إلى الله ، متوكلا عليه ، معتمدا على معونته ، مستعينا بقوته لتحقيق ما يرجوه من نتائج يباشر أسبابها على قدر استطاعته ؛ ويسأله تعالى أن يدفع عنه العقبات ، ويمنع عنه العراقيل ، ويمده بالتأييد والتسديد ، والتوفيق والمعونة.

فالتوكل على الله ، والاعتماد عليه ، والاستعانة به ، امور من إعمال قلب المؤمن ووظيفة من وظائفه ، فإذا امتلأ بها قلب المؤمن وهو يباشر الأسباب المادية على مقدار استطاعته؛ ازدادت قوته المعنوية في الاندفاع لتحقيق النتائج المرجوة ، ثقة منه بان الله يسده ويؤيده ، وسيحقق له ما يرجو إذا علم أن فيه الخير.

وحين لا تتحقق النتائج المرجوة بعد اتخاذ

(١) صحيح مسلم: ٨/ ٢٢٧ . ومسند احمد: ٤/ ٣٣٢

الأسباب المستطاعة ؛ يلاحظ المؤمن أن الله قد قضى له ما هو خير ، وادخر له الأفضل والأحسن ، فهو يستقبل عدم تحقيق النتائج التي يرجوها بمثل استقباله لها فيما لو تحققت .

وهكذا يكون مطمئن القلب رضيا ، ويكون في إعماله باذلا أقصى ما يستطيع ، طاعة لأوامر الله في شريعته وسننه السببية في كونه ، ويكون مع ذلك متفائلا بان الله لا يقضي له إلا ما هو خير .

وهكذا يكون المؤمن سببا في إعماله المادية ، متوكلا على الله في حركاته النفسية والقلبية ، راضيا بما يقضيه الله مما يحب ومما يكره .

وبهذا الفهم السليم والعمل الذي أوجبه الله على الناس وجعله من سنة كونه ؛ ظفر المسلمون الأولون بالمجد العظيم ، واحتلوا مركز قيادة الناس إلى الحق .

الخاتمة واهم النتائج

احمد الله سبحانه وتعالى الذي وفقني على إتمامي لهذا البحث المتواضع الذي تحدثت فيه عن منهج جدلية العلاقة بين التخيير والتسيير والقضاء والقدر ومن خلال كتابتي لهذا البحث توصلت إلى أهم النتائج :

١. التسيير والتخيير من المسائل الشائكة في العقيدة الاسلامية

٢ .خلق الإنسان مريداً له حرية الاختيار ضمن دائرة الأعمال التي تدخل تحتقدرته .

٣.أفعال العباد كلها بتقدير الله قدر الله لا يبطل التكليف

٤.أفعال العباد تستوجب مشيئته الله تعالى ولا تستوجب رضاه

على المسلم أن يتوكل على الله في جميع الأموروأن عليه إن يعترف ويؤمن بأنه لايأتي بالخيرالا من الله.

٥. ولايدفع الشرإلاهوسبحانه وتعالى وهوالذي يضروينفع وهوالذي يتصرف بالكون فإذا توكل العبد على الله تعالى فأنا لطيرةلاتضره .

٦. على الإنسان أن يعتقد ويؤمن انه لا احد يجلب الخير إلا الله تعالى ولا يصيبنا أي شيء إلا بإذنه تعالى وقدرته ومشيئته .

٧.فيجب عليه أن يشكرا الله على النعم التي انعمها الله عليه فكل ما حصل للإنسان من نعم فمن الله سبحانه وتعالى.وعليه إن ينسبها إلى الله تعالى وان يشكر الله عليها ولا ينسبها إلى غيره ولا إلى أحد من خلقه وإنما ينسب الفضل إلى المتفضل وهو الله سبحانه وتعالى.

إن الإنسان يملك حرية الاختيار والتصرف، فهو يستطيع باختياره أن يضع نفسه أي موضع يشاء من هذه الأسباب والعلل ، وله ملئ الحرية في هذا الاختيار والتصرف وإن كان لا خيار له بعد ذلك فيما يترتب على هذا السبيل أو ذاك من خير أو شر, فإن الإنسان يواجه في حياته عوارض مختلفة، قد تغير النتيجة التي يسعى إليها حسب قانون العلية.

المصادر والمراجع

١-الأربعين في أصول الدين: الإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، ت ٦٠٤هـ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد، الطبعة الأولى ١٩٥٣م،

١-تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠٠ -٧٧٤ هـ) تحقيق : سامي محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩م

٢-التكملة والذيل والصلة ، لرضى الدين الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني ، (ت ٦٥٠هـ) ،تحقيق: عبد العليم الطحاوي ، مراجعة: عبد الحميد حسن ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٤م

٣-تَهْذِيب اللُّغَة ، لأبي منصور مُحَمَّد بن أَحْمَد الأزهري ، (ت ٣٧٠ هـ) ، تحقيق : أَحْمَد عبد العليم البردوني ، مراجعة : علي مُحَمَّد البجاوي ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، مصر ، بلا تاريخ

٤ جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) ، تأليف: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار النشر: دار الفكر بيروت – ١٤٠٥.

٥-الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار النشر: دار الشعب – القاهرة .

٦-الدرر السنية في الأجوبة النجدية: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم القحطاني النجدي، ت ١٣٩٢هـ

٧-الدين الخالص: محمد صديق خان القنوجي، دار العروبة ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٩م

٨-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف: العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٩-شرح الباجوري على الجوهرة ، نسقه وحرج أحاديثه : عبد الكريم تتان ، محمد أديب الكيلاني ، بلا دار طبع ، بلا تاريخ .

١٠-شرح العقائد النسفية ، العلامة سعد الدين التفتازاني , تحقيق : الدكتور احمد حجازي السقا .

١١-شرح العقيدة الطحاوية : صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ومجموعة من العلماء، المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٢م، تعليق: ناصر الدين الألباني

١٢-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري, ت ٣٩٣هـ , تحقيق: احمد بن عبد الغفور عطار, طبعة دار العلم للملايين ١٤٠٧هـ .

١٣-صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، ت ٣٥٤هـ ، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٣م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط .

١٤-صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ) ، تحقيق : د . مصطفى ديب البغا ، الطبعة الثالثة ، دار ابن كثير ،

اليمامة ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ ،

١٥-صحيح مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) , تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي , دار احياء التراث العربي , بيروت .

١٦-عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار النشر: دار إحياء التراث العربي بيروت

١٧-فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار النشر: دار المعرفة بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب .

١٨-القضاء والقدر ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية ، بَيْرُوْت ،بلا تاريخ :

١٩-قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، دار القلم دمشق ، ط٤ ، ٢٠٠٩ .

٢٠-لسان العرب ، حمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار النشر: دار صادر بيروت، الطبعة: الأولى

٢١-مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي بن سلطان محمد القاري، ت ١٠١٤هـ، دار الكتب العلمية لبنان/ بيروت الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م، تحقيق: جمال عينتابي

٢٢-مسند أبي يعلى ، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، دار النشر: دار المأمون للتراث دمشق ١٤٠٤ ١٩٨٤، الطبعة: الأولى، تحقيق: حسين سليم أسد

٢٣-مسند احمد ، حمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، دار النشر: مؤسسة قرطبة – مصر .

٢٤-مسند الشاشي ، أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، دار النشر: مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة ١٤١٠، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله .

٢٥-مصنف عبد الرزاق ، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، دار النشر: المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٣، الطبعة: الثانية، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي .

٢٦-معالم التنزيل لمحيي السنة الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى ٥١٦ هـ) ، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر عثمان جمعة ضميرية سليمان مسلم الحرش ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة : الرابعة ، ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م

٢٧-الْمُعْجَم الوَسِيْط ، قام بإخراجه : إبْرَاهِيم مصطفى ، وأحمد حسن الزيات ، وحامد عبد القادر ، ومُحَمَّد علي النجار ، دار الدعوة ، تركيا ، ط٣ ، ١٩٨٩م

٢٨-مُعْجَم مَقَايِيس اللُّغَة ، لأبي الْحَسَن أَحْمَد بن فارس بن زكريا ، (ت ٣٩٥ هـ) ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الفكر ، بَيْرُوْت ، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م :

٢٩-المُفْرَدَات فِي غَرِيب الْقُرْآن ، لأبي القاسم بن حسين بن مُحَمَّد المعروف بالراغب الأصفهاني ، (ت ٥٠٢هـ) ، دار القلم ، دمشق ، بلا تاريخ

٣٠-موطأ مالك ، مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي مصر -، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي

٣١-النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري, تحقيق : طاهر أحمد الزاوي محمود محمد الطناحي, طبعة: مؤسسة اسماعيليان قم - ط٤ .